في أمره وتنفيرًا عنه وإلا فقد علموا أنه أعقلهم. والمعنى: إنهم جننوه لأجل القرآن.

وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾.

﴿وما هو إلا ذكر﴾ وموعظة ﴿للعالمين﴾ فكيف يجنن من جاء بمثله. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة القلم أعطاه الله ثواب الذين حسن الله أخلاقهم»[1].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الحاقة وهي مكية

ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾.

﴿الحاقة﴾ الساعة الواجبة الوقوع الثابتة المجيء التي هي آتية لا ريب فيها، أو التي فيها حواق الأمور من الحساب والثواب والعقاب، أو التي تحوق فيها الأمور. أي: تعرف على الحقيقة. من قولك: لا أحق هذا. أي: لا أعرف حقيقته. جعل الفعل لها وهو لأهلها، وارتفاعها على الابتداء وخبرها.

مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٢﴾.

﴿ما الحاقة﴾ والأصل: الحاقة ما هي؟أي: أي شيء هي. تفخيمًا لشأنها وتعظيمًا لهولها. فوضع الظاهر موضع المضمر لأنه أهول لها.

وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٣﴾.

﴿وما أدراك﴾ وأي شيء أعلمك ما الحاقة؟ يعني: أنك لا علم لك بكنهها ومدى عظمها على أنه من العظم والشدّة بحيث لا يبلغه دراية أحد ولا وهمه. وكيفما قدرت حالها فهي أعظم من ذلك، وما في موضع الرفع على الابتداء، وأدراك معلق عنه لتضمنه معنى الاستفهام.

كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾.

القارعة التي تقرع الناس بالإفزاع والأهوال، والسماء بالإنشقاق والإنفطار، والأرض والجبال بالدك والنسف، والنجوم بالطمس والإنكدار. ووضعت موضع الضمير لتدل على معنى القرع في الحاقة زيادة في وصف شدّتها. ولما ذكرها وفخمها أتبع نكر ذلك نكر من كذب بها وما حل بهم بسبب التكذيب تذكيرًا لأهل مكة وتخويفًا لهم من عاقبة تكذيبهم.

فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾.

﴿بالطاغية﴾ بالواقعة المجاوزة للحد في الشدّة، واختلف فيها. فقيل: الرجفة. وعن ابن عباس: الصاعقة. وعن قتادة: بعث الله عليهم صيحة فأهمدتهم. وقيل: الطاغية مصدر كالعافية. أي: بطغيانهم. وليس بذاك لعدم الطباق بينها وبين قوله.

وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾.

﴿بريح صرصر﴾ والصرصر الشديدة الصوت لها صرصرة، وقيل: الباردة من الصر كأنها التي كرر فيها البرد وكثر، فهي تحرق لشدّة بردها. ﴿عاتية﴾ شديدة العصف، والعتو استعارة. أو عتت على عاد فما قدروا على ردها بحيلة من استتار ببناء أو لياذ بجبل أو اختفاء في حفرة، فإنها كانت تنزعهم من مكامنهم وتهلكهم. وقيل: عتت على خزانها، فخرجت بلا كيل ولا وزن. وروي عن رسول الله ﷺ: «ما أرسل الله سفية من ريح إلا بمكيال، ولا قطرة من مطر إلا بمكيال، إلا يوم عاد ويوم نوح فإنّ الماء يوم نوح طغى على الخزان فلم يكن لهم عليه السبيل»[2]. ثم قرأ: ﴿إنّا لمّا طغى الماء حملناكم في الجارية﴾[3] وإنّ الريح يوم عاد عتت على الخزان فلم يكن لهم عليها سبيل. ثم قرأ ﴿بريح صرصر عاتية﴾. ولعلها عبارة عن الشدّة والإفراط فيها.

سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾.

الحسوم لا يخلو من أن يكون جمع حاسم كشهود وقعود، أو مصدرًا كالشكور والكفور، فإن كان جمعًا فمعنى قوله: حسومًا نحسات حسمت كل خير واستأصلت كل بركة، أو متتابعة هبوب الرياح ما خفتت ساعة حتى أتت عليهم تمثيلاً لتتابعها بتتابع فعل الحاسم في إعادة الكي على الداء كرّة بعد أخرى حتى ينحسم. وإن كان مصدرًا فإما أن ينتصب بفعله مضمر أي: تحسم حسومًا بمعنى: تستأصل استئصالاً، أو يكون صفة كقولك: ذات حسوم، أو يكون مفعولاً له أي: سخرها عليهم للاستئصال. وقال عبد العزيز: ابن زرارة الكلابي:

فـفـرق بـيـن بـيـنـهـم زمـان ... تـتـابـع فـيـه أعـوام حـسـوم

وقرأ السدى حسومًا بالفتح حالاً من الريح أي: سخرها عليهم مستأصلة. وقيل: هي أيام العجوز وذلك أنّ عجوزًا من عاد توارت في سرب فانتزعتها الريح في اليوم الثامن فأهلكتها. وقيل: هي أيام العجز، وهي آخر الشتاء

---

(1) رواه الثعلبي والواقدي وابن مردويه في تفاسيرهم والزيلعي 4/ 79.

(2) رواه أبو نعيم في الحلية في ترجمة شهر بن حوشب وكذلك رواه= = الطبري والثعلبي وابن مردويه والطبراني والزيلعي 4/83.

(3) سورة الحاقة، الآية: 11.

وأسماؤها: الصن والصنبر والوبر والآمر والمؤتمر والمعلل ومطفيء الجمر. وقيل: مكفئ الظعن. ومعنى:

﴿سخرها عليهم﴾ سلطها عليهم كما شاء. ﴿فيها﴾ في مهابها أو في الليالي والأيام. وقرئ: أعجاز نخيل.

فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾.

﴿من باقية﴾ من بقية أو من نفس باقية أو من بقاء كالطاغية بمعنى الطغيان.

وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾.

﴿ومن قبله﴾ يريد ومن عنده من تباعه. وقرئ: ومن قبله أي: ومن تقدمه. وتعضد الأولى قراءة عبد الله وأبي ومن معه وقراءة أبي موسى ومن تلقاءه. ﴿والمؤتفكات﴾ قرئ: قوم لوط. ﴿بالخاطئة﴾ بالخطأ أو بالفعلة أو الأفعال ذات الخطأ العظيم.

فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾.

﴿رابية﴾ شديدة زائدة في الشدّة كما زادت قبائحهم في القبح. يقال: ربا الشيء يربو إذا زاد ليربو في أموال الناس.

إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾.

﴿حملناكم﴾ حملنا آباءكم ﴿في الجارية﴾ في سفينة لأنهم إذا كانوا من نسل المحمولين الناجين كان حمل آبائهم منّة عليهم وكانهم هم المحمولين لأنّ نجاتهم سبب ولادتهم.

لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾.

﴿لنجعلها﴾ الضمير للفعلة وهي نجاة المؤمنين وإغراق الكفرة. ﴿تذكرة﴾ عظة وعبرة ﴿اذن واعية﴾ من شأنها أن تعي وتحفظ ما سمعت به ولا تضيعه بترك العمل. وكل ما حفظته في نفسك فقد وعيته، وما حفظته في غير نفسك[1] فقد أوعيته. كقولك: وعيت الشيء في الظرف. وعن النبي ﷺ أنه قال لعليّ رضي الله عنه عند نزول هذه الآية: «سألت الله أن يجعلها أذنك يا عليّ». قال عليّ رضي الله عنه: فما نسيت شيئًا بعد وما كان لي أن أنسى[2].

فإن قُلْتَ: لم قيل أذن واعية على التوحيد والتنكير! قُلْتُ: للإيذان بأن الوعاة فيهم قلة، ولتوبيخ الناس بقلة من يعي منهم. وللدلالة على أن الأذن الواحدة إذا وعت وعقلت عن الله فهي السواد الأعظم عند الله، وأن ما سواها لا يبالي بهم بالة وإن ملئوا ما بين الخافقين. وقرئ: ﴿وتعيها﴾ بسكون العين للتخفيف شبه تعي بكبد. أسند الفعل إلى المصدر وحسن تذكيره للفصل.

فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾.

وقرأ أبو السمال: نفخة واحدة بالنصب مسندًا للفعل إلى الجار والمجرور.

فإن قُلْتَ: هما نفختان[3]. فلم قيل: واحدة! قُلْتُ: معناه أنها لا تثنى في وقتها.

فإن قُلْتَ: فاي النفختين هي؟ قُلْتُ: الأولى، لأن عندها فساد العالم. وهكذا الرواية عن ابن عباس وقد روى عنه أنها الثانية.

فإن قُلْتَ: أما قال بعد يومئذ تعرضون والعرض إنما هو عند النفخة الثانية! قُلْتُ: جعل اليوم اسمًا للحين الواسع الذي تقع فيه النفختان والصعقة والنشور والوقوف والحساب. فلذلك قيل: يومئذ تعرضون، كما تقول جئته عام كذا، وإنما كان مجيئك في وقت واحد من أوقاته.

وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾.

﴿وحملت﴾ ورفعت من جهاتها بريح بلغت من قوّة عصفها أنها تحمل الأرض والجبال، أو بخلق من الملائكة. أو بقدرة الله من غير سبب. وقرئ: وحملت بحذف المحمل وهو أحد الثلاثة ﴿فدكتا﴾ فدكت. الجملتان جملة الأرضين وجملة الجبال فضرب بعضها ببعض حتى تندقّ وترجع كثيبًا مهيلاً وهباءً منبثًا. والدك أبلغ من الدقّ. وقيل: فبسطتا بسطة واحدة فصارتا أرضًا لا ترى فيها عوجًا ولا أمتا. من قولك: اندكّ السنام، إذا انفرش. وبعير أدكّ، وناقة دكاء ومنه الدكان.

فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾.

﴿فيومئذ وقعت الواقعة﴾ فحينئذ نزلت النازلة وهي القيامة.

وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾.

﴿واهية﴾ مسترخية ساقطة القوّة جدًا بعد ما كانت محكمة مستمسكة.

وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾

يريد والخلق الذي يقال له: الملك. وردّ إليه الضمير مجموعًا في قوله: فوقهم على المعنى.

فإن قُلْتَ: ما الفرق بين قوله والملك وبين أن يقال والملائكة؟ قُلْتُ: الملك أعمّ من الملائكة ألا ترى أن قولك: ما من ملك إلا وهو شاهد أعم من قولك: ما من ملائكة. ﴿على أرجائها﴾ على جوانبها الواحد رجا مقصور يعني: أنها

(1) قال أحمد: هو مثل قوله: ﴿ولتنظر نفس ما قدمت لغد﴾ وقد ذكر أن فائدة التنكير والتوحيد فيه الإشعار بقلة الناظرين.

(2) سعيد بن منصور والثعلبي وابن مردويه زيلعي 4/84.

(3) قال أحمد: وأما فائدة الإشعار بعظم هذه النفخة أن المؤثر لدكّ الأرض والجبال وخراب العالم هي وحدها غير محتاجة إلى أخرى.

الجزء التاسع والعشرون ـــ

وقد استحب إيثار الوقف إيثارًا لثباتها في المصحف. وقيل: لا بأس بالوصل والإسقاط. وقرأ ابن محيصن بإسكان الياء بغير هاء. وقرأ جماعة بإثبات الهاء في الوصل والوقف جميعًا لاتباع المصحف.

إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾.

﴿ظننت﴾ علمت وإنما أجرى الظن مجرى العلم لأنّ الظن الغالب يقام مقام العلم في العادات والأحكام. ويقال: أظن ظنًا كاليقين أنّ الأمر كيت وكيت..

فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾.

﴿راضية﴾ منسوبة إلى الرضا، كالدارع والنابل. والنسبة نسبتان: نسبة بالحرف، ونسبة بالصيغة. أو جعل الفعل لها مجازًا وهو لصاحبها.

فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾.

﴿عالية﴾ مرتفعة المكان في السماء أو رفيعة الدرجات أو رفيعة المباني والقصور. والأشجار.

قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾.

﴿دانية﴾ ينالها القاعد والنائم.

كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾.

يقال لهم ﴿كلوا واشربوا هنيئًا﴾ أكلاً وشربًا هنيئًا، أو هنيتم هنيئًا على المصدر ﴿بما أسلفتم﴾ بما قدّمتم من الأعمال الصالحة ﴿في الأيام الخالية﴾ الماضية من أيام الدنيا. وعن مجاهد: أيام الصيام أي: كلوا واشربوا بدل ما أمسكتم عن الأكل والشرب لوجه الله. وروى: يقول الله عزّ وجل: يا أوليائي طالما نظرت إليكم في الدنيا وقد قلصت شفاهكم عن الأشربة وغارت أعينكم وخمصت بطونكم فكونوا اليوم في نعيمكم وكلوا واشربوا هنيئًا بما أسلفتم في الأيام الخالية.

يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾.

الضمير في ﴿يا ليتها﴾ للموتة. يقال: يا ليت الموتة التي مُنّها ﴿كانت القاضية﴾ أي: القاطعة لأمري، فلم أبعث

تنشقّ وهي مسكن الملائكة فينضوون إلى أطرافها[1] وما حولها من حافاتها. ﴿ثمانية﴾ أي: ثمانية منهم. وعن رسول الله ﷺ: هم اليوم أربعة، فإذا كان يوم القيامة أيدهم الله بأربعة آخرين[2]، فيكونون ثمانية. وروى: ثمانية أملاك أرجلهم في تخوم الأرض السابعة والعرش فوق رؤسهم وهم مطرقون مسبحون. وقيل: بعضهم على صورة الإنسان، وبعضهم على صورة الأسد، وبعضهم على صورة الثور، وبعضهم على صورة النسر. وروى: ثمانية أملاك في خلق الأوعال ما بين أظلافها إلى ركبها مسيرة سبعين عامًا. وعن شهر بن حوشب: أربعة منهم يقولون: سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك، وأربعة يقولون: سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك. وعن الحسن: الله أعلم كم هم أثمانية أم ثمانية آلاف؟ وعن الضحاك: ثمانية صفوف لا يعلم عددهم إلا الله. ويجوز أن تكون الثمانية من الروح أو من خلق آخر فهو القادر على كل خلق سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون.

يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾.

العرض عبارة عن المحاسبة والمساءلة شبه ذلك بعرض السلطان العسكر لنعرف أحواله. وروى أنّ في يوم القيامة ثلاثة عرضات: فأما عرضتان فاعتذار واحتجاج وتوبيخ، وأما الثالثة ففيها تنشر الكتب فيأخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك كتابه بشماله.

﴿خافية﴾ سريرة. وحال كانت تخفى في الدنيا بستر الله عليكم.

فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ اقْرَءُوا كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾.

﴿فأما﴾ تفصيل للعرض. هاء صوت يصوت به فيفهم منه معنى: خذ كاف وحس وما أشبه ذلك. و﴿كتابيه﴾ منصوب بهاؤم عند الكوفيين وعند البصريين باقرؤا لأنه أقرب العاملين. وأصله: هاؤم كتابي، اقرؤا كتابي. فحذف الأوّل لدلالة الثاني عليه. ونظيره: آتوني أفرغ عليه قطرًا. قالوا: ولو كان العامل الأوّل، لقيل: اقرؤه وأفرغه والهاء للسكت في كتابيه، وكذلك في حسابيه وماليه وسلطانيه[3]. وحق هذه الهاآت أن تثبت في الوقف وتسقط في الوصل،

---

(1) قال أحمد: كلاهما معرّف تعريف الجنس، فالواحد والجمع سواء في العموم.

(2) قال الزيلعي رواه الطبري ونكره الثعلبي من غير سند وهو في حديث الصور الطويل وقد استوفينا الكلام عليه في غير هذا الباب 4/85.

(3) قال أحمد: تعليل القراءة باتباع المصحف عجيب، مع أنّ المعتقد الحق أنّ القرءات السبع بتفاصيلها منقولة تواتراً عن النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم، فالذي أثبت الهاء في الوصل إنما أثبتها من التواتر عن قراءة النبي ﷺ أيها، كذلك قبل أن تكتب في المصحف وما نفس هؤلاء إلا إدخال الاجتهاد في القرآت المستفيضة، واعتقاد أنّ فيها ما أخذ بالاختيار النظري، وهذا خطأ = لا ينبغي فتح بابه، فإنه ذريعة إلى ما هو أكبر منه، ولقد جرت بيني وبين الشيخ أبي عمرو رحمه الله مفاوضة في قوله: ﴿ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه﴾ على قراءة حفص انتهت. إلى أن ألزم الرد على من أثبت الهاء في الوصل في كلمات سورة الحاقة؛ لأني حججته بإثبات القراء المشاهير لها كذلك، ففهمت من ردّه لذلك ما فهمه من كلام الزمخشري ههنا، ولم أقبله منه رحمه الله، فتراجع عنه، وكانت هذه المفاوضة بمكاتبة بيني وبينه، وهي آخر ما كتب من العلوم على ما أخبرني به خاصته، وذلك صحيح؛ لأنها كانت في أوائل مرضه رحمه الله، والله أعلم.

بعدها ولم ألق. ما ألقى. أو للحالة أي: ليت هذه الحالة كانت الموتة التي قضت عليّ، لأنه رأى تلك الحالة أبشع وأمرّ مما ذاقه من مرارة الموت وشدّته فتمناه عندها.

مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ﴿٢٨﴾.

﴿ما أغنى﴾ نفي أو استفهام على وجه الإنكار، أي: أي شيء أغنى عني ما كان لي من اليسار.

هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ﴿٢٩﴾.

﴿هلك عني سلطانية﴾ ملكي وتسلطي على الناس، وبقيت فقيرًا ذليلاً. وعن ابن عباس أنها نزلت في الأسود بن عبد الأشد. وعن فنا خسرو الملقب بالعضد أنه لما قال:

عضد الدولة وابن ركنها ... ملك الأملاك غلاب القدر

لم يفلح بعده وجن فكان لا ينطق لسانه إلا بهذه الآية. وقال ابن عباس: ضلت عني حجتي. ومعناه: بطلت حجتي التي كنت أحتج بها في الدنيا.

هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾.

﴿ثم الجحيم صلوه﴾ ثم لا تصلوه إلا الجحيم وهي النار العظمى، لأنه كان سلطانًا يتعظم على الناس. يقال: صلى النار وصلاه النار.

ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ ﴿٣٢﴾.

سلكه في السلسلة أن تلوى على جسده حتى تلتف عليه أنثاؤها وهو فيما بينها مرهق مضيق عليه لا يقدر على حركة، وجعلها سبعين ذراعًا إرادة الوصف بالطول. كما قال أن تستغفر لهم سبعين مرة يريد مرات كثيرة لأنها إذا طالت كان الإرهاق أشد، والمعنى في تقديم السلسلة على السلك مثله في تقديم الجحيم على التصلية. أي: لا تسلكوه إلا في هذه السلسلة كأنها أفظع من سائر مواضع الإرهاق في الجحيم. ومعنى: ثم، الدلالة على تفاوت ما بين الغل والتصلية بالجحيم وما بينها وبين السلك في السلسلة لا على تراخي المدّة.

إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٣٣﴾.

﴿إنه﴾ تعليل على طريق الاستئناف وهو أبلغ كأنه قيل: ما له يعذب هذا العذاب الشديد؟ فأجيب بذلك.

وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴿٣٤﴾.

وفي قوله: **﴿ولا يحض على طعام المسكين﴾** دليلان قويان على عظم الجرم في حرمان المسكين أحدهما: عطفه على الكفر وجعله قرينة له، والثاني نكر الحض دون الفعل ليعلم أنّ تارك الحض بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعل. وما أحسن قول القائل:

إذا نزل الأضياف كان عنوّرًا
على الحي حتى تستقل مراجله يريد حضهم على القرى واستعجلهم وتشاكس عليهم. وعن أبي الدرداء أنه كان يحض امرأته على تكثير المرق لأجل المساكين. وكان يقول: خلعنا نصف السلسلة بالإيمان، أفلا نخلع نصفها الآخر. وقيل: هو منع الكفار. وقولهم: ﴿أنطعم من لو يشاء الله أطعمه﴾. والمعنى: على بذل طعام المسكين.

فَلَيۡسَ لَهُ ٱلۡيَوۡمَ هَٰهُنَا حَمِيمٞ ﴿٣٥﴾.

﴿حميم﴾ قريب يدفع عنه ويحزن عليه لأنهم يتحامونه ويفرون منه كقوله: **﴿ولا يسأل حميم حميمًا﴾**.

وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنۡ غِسۡلِينٖ ﴿٣٦﴾.

والغسلين غسالة أهل النار وما يسيل من أبدانهم من الصديد والدم فعلين من الغسل.

لَّا يَأۡكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾.

﴿الخاطئون﴾ الآثمون أصحاب الخطايا، وخطئ الرجل إذا تعمد الذنب، وهم المشركون عن ابن عباس. وقرئ: الخاطيون بإبدال الهمزة ياء والخاطون بطرحها. وعن ابن عباس: ما الخاطون كلنا نخطو. وروى عنه أبو الأسود الدؤلي: ما الخاطون؟ إنما هو الخاطئون. ما الصابون؟ إنما هو الصائبون. ويجوز أن يراد الذين يتخطون الحق إلى الباطل ويتعدون حدود الله.

فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٩﴾.

هو أقسام بالأشياء كلها على الشمول والإحاطة لأنها لا تخرج من قسمين مبصر وغير مبصر. وقيل: الدنيا والآخرة والأجسام والأرواح والإنس والجنّ والخلق والخالق والنعم الظاهرة والباطنة أن هذا القرآن.

إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿٤٠﴾.

﴿لقول رسول كريم﴾ أي: يقوله ويتكلم به على وجه الرسالة من عند الله.

وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾.

﴿وما هو بقول شاعر﴾ ولا كاهن كما تدّعون. والقلة في معنى العدم. أي: لا تؤمنون ولا تذكرون البتة. والمعنى: ما أكفركم وما أغفلكم.

تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾.

﴿تنزيل﴾ هو تنزيل بيانًا لأنه قول رسول نزل عليه **﴿من رب العالمين﴾**. وقرأ أبو السمال: تنزيلاً أي: نزل تنزيلاً. وقيل: الرسول الكريم جبريل عليه السلام. وقوله: **﴿وما هو بقول شاعر﴾**[1] دليل على أنه محمد ﷺ، لأنّ المعنى على إثبات أنه رسول لا شاعر ولا كاهن.

(1) سورة الحاقة، الآية: 41.

وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾.

التقوّل افتعال القول؛ لأن فيه تكلفًا[1] من المفتعل، وسمي الأقوال المتقوّلة أقاويل تصغيرًا بها وتحقيرًا. كقولك: الأعاجيب والأضاحيك كأنها جمع أفعولة من القول. والمعنى: ولو ادعى علينا شيئًا لم نقله لقتلناه صبرًا كما يفعل الملوك بمن يتكذب عليهم معاجلةً بالسخط والانتقام. فصوّر قتل الصبر بصورته ليكون أهول وهو أن يؤخذ بيده وتضرب رقبته، وخص اليمين عن اليسار لأنّ القتال إذا أراد أن يوقع الضرب في قفاه أخذ بيساره، وإذا أراد أن يوقعه في جيده وأن يكفحه بالسيف وهو أشد على المصبور لنظره إلى السيف أخذ بيمينه.

لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾.

معنى: ﴿لأخذنا منه باليمين﴾ لأخذنا بيمينه.

ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾.

كما أن قوله: ﴿لقطعنا منه الوتين﴾ لقطعنا وتينه وهذا بَيِّن، والوتين نياط القلب وهو حبل الوريد إذا قطع مات صاحبه. وقرئ*: ولو تقول على البناء المفعول.

فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾.

قيل: ﴿حاجزين﴾ في وصف أحد لأنه في معنى الجماعة، وهو اسم يقع في النفي العام مستويًا فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث. ومنه قوله تعالى: ﴿لا نفرق بين أحد من رسله﴾[2] ﴿لستن كأحد من النساء﴾. والضمير في عنه للقتل. أي: لا يقدر أحد منكم أن يحجزه عن ذلك ويدفعه عنه. أو لرسول الله أي: لا تقدرون أن تحجزوا عنه القاتل وتحولوا بينه وبينه والخطاب للناس.

وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿وإنّا لنعلم أن منكم مكذبين﴾ وهو إبعاد على التكذيب. وقيل: الخطاب للمسلمين. والمعنى: أن منهم ناسًا سيكفرون بالقرآن، وأنه الضمير للقرآن.

وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾.

﴿لحسرة﴾ على الكافرين به المكذبين له إذا رأوا ثواب المصدّقين به أو للتكذيب.

وَإِنَّهُ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾.

وأن القرآن لليقين حق اليقين. كقولك: هو العالم حق العالم وجد العالم. والمعنى لعين اليقين ومحض اليقين.

فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾.

﴿فسبح﴾ اشبنكر اسمه العظيم. وهو قوله سبحانه الله واعبده شكرًا على ما أهلك له من إيحائه إليك. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ صورة الحاقة حاسبه الله حسابًا يسيرًا»[3].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة المعارج مكية

سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾.

ضمن سأل معنى دعا فدعى تعديته كأنه قيل: دعا داعٍ ﴿بعذاب واقع﴾ من قولك: دعا بكذا، إذا استدعى وطلبه، ومنه قوله تعالى: ﴿يدعون فيها بكل فاكهة﴾[4] وعن ابن عباس رضي الله عنهما: هو النضر بن الحرث، قال: ﴿إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾[5] وقيل: هو رسول الله ﷺ استعجل بعذاب.

لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾.

للكافرين، وقرئ*: سأل سائل: وهو على وجهين: إما أن يكون من السؤال وهي لغة قريش يقولون: سلت تسأل وهما بتسيلان، وإن يكون من السيلان ويؤيده قراءة ابن عباس: سال سيلاً، والسيل مصدر في معنى السائل كالغور بمعنى الغائر. والمعنى: اندفع عليهم وادي عذاب فذهب بهم وأهلكهم. وعن قتادة: سأل سائل عن عذاب الله على من ينزل، وبمن يقع فنزلت. وسأل على هذا الوجه مضمن معنى: عنى واهتم.

فإن قُلْتَ: بم يتصل قوله: ﴿للكافرين﴾؟ **قُلْتُ:** هو على القول الأوّل متصل بعذاب صفة له، أي: بعذاب واقع كائن للكافرين، أو بالفعل أي: دعا للكافرين بعذاب واقع، أو بواقع أي: بعذاب نازل لأجلهم. وعلى الثاني هو كلام مبتدأ جواب للسائل، أي: هو للكافرين.

فإن قُلْتَ: فقوله: ﴿من الله﴾ بم يتصل؟ **قُلْتُ:** يتصل بواقع، أي: واقع من عنده، أو بدافع بمعنى ليس له دافع من جهته إذا جاء وقته وأوجبت الحكمة وقوعه.

مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾.

﴿ذي المعارج﴾ ذي المصاعد، جمع معرج. ثم وصف

---

(1) قال أحمد: وبناء أفعولة من القول، وهو معتل كما ترى غيب عن القياس التصريفي، ويحتمل أن تكون الأقاويل جمع الجمع، كالأناعيم جمع أقوال وأنعام وهو الظاهر، والله أعلم.

(2) سورة البقرة، الآية: 285.

(3) ابن مردويه الثعلبي والواحدي في تفاسيرهم، زيلعي 4/85.

(4) سورة صٓ، الآية: 51.

(5) سورة الأنفال، الآية: 32.